مجلة الرستمية ISSN 2716-9138
المجلد : 03 العدد 02 السنة 2022 ص ص: 8-33

لوك فيري ثورة المحبة والعاطفة في الإنسانوية الجديدة

- مراجعة وتعريب-

Luc Ferry The revolution of love-passion and the metamorphoses of humanism

-Revision and translation-

أحمد دحماني*، جامعة غليزان أحمد زبانة (الجزائر)، ahmed.dahmani@univ-relizane.dz

تاريخ الارسال: 2022-09-11	تاريخ القبول2022-11-18	تاريخ النشر: 2022-12-01	المؤلف المرسل: أحمد دحماني

الملخص:

يعد الفيلسوف الفرنسي لوك فيري من الفلاسفة التنويريين الجدد الذين اهتموا بقضايا فلسفية من صميم المجتمع كالمحبة التي أخذت عنده بعدا إيتيقيا و السعادة و تصوراتها و تحقيق الحياة الطيبة و العيش المشترك في ظل الراهن اليومي أو ما نعته بالإنسانوية الجديدة، و في مقدمة مؤلفاته التي طرحت هذا المشروع الفلسفي الجديد القائم على تبسيط الخطاب الفلسفي لأجل تحليل القضايا الراهنة التي تشغل إنسان هذا العصر اخترنا كتاب ثورة المحبة الذي لم نعثر له على ترجمة عربية مقارنة بمصنفاته الاخرى و لأهميته اخترنا منه المقدمة في محاولة منا لتعريبها نظرا لأهميتها حيث أنها لخصت مشروعه النظري في فلسفته الأنوارية الجديدة.

الكلمات المفتاحية: إيتيقا، السعادة، المحبة، الراهن، الانسانوية الجديدة.

Abstract :

The French philosopher Luc Ferry is one of the new philosophers of the Enlightenment who were interested in philosophical questions of the heart of society such as love, which took on an ethical dimension, happiness and its perceptions, the realization of a good life and coexistence under the present daily life or what he called the new humanism, and in the introduction of his writings that put forward this new philosophical project based on the simplification of philosophical discourse in order to analyze the current questions that concern the current man we chose the book The Revolution of Love, for which we have not found an Arabic translation in relation to his other works and because of its importance, we chose from him the introduction in an attempt to Arabize him because of his importance because it summed up his theoretical project in his new philosophy of the Enlightenment.

Keywords: Ethics, happiness, love, current, new humanity.

* المؤلف المرسل: أحمد دحماني

1. مقدمة:

« لطالما كان الحب بالنسبة لي أعظم عمل ، أو بالأحرى العمل الوحيد. » (l'amour a toujours été pour moi la plus grande des affaires, ou plutôt la seule) (Ferry, 2010, p. 4) ، بهذه المقولة لأديب فرنسا ستاندال افتتح لوك فيري مقدمة كتابه: - ثورة المحبة –من أجل روحانية علمانية- (ferry, 2010) مقدمته التي جاءت في حوالي أربعة عشر صفحة لخصت مشروعه النظري و فلسفته الأنوارية الجديدة " أو ما بعد عصر الأنوار الذي أحل العقل محل النقل، و النقد محل العقيدة، إنما على أساس روحاني جديد يعيد الاعتبار للقيمة و المعنى في ظل أزمة المعنى في عالم الحداثة الباهتة مستفيدا من تطور علوم الانسان في مجال ظواهر الأديان". (جميل، 2016، صفحة 296).

و إذ مقدمة لوك فيري لا تغني عن محتوى كتابه الذي جاء في 400 صفحة، لكنها بسطت و شرحت أغلب ما جاء فيه فكانت بمثابة الفصل المختصر واستقلّت بعنوان خاص فجاءت موسومة ب:(ثورة الحب والعاطفة و تحولات الانسان وية) (La-révolution-de-l'amour-passion-et-les-métamorphoses-de-l'humanisme.) كما تضمنت أربعة تعليقات للوك فيري أشرنا إليها برمز (*) و بعد إعادة صياغتها بالعربية وضعناها في هامش أسفل الصفحة ، ولأهمية هذه المقدمة في مشروع لوك فيري الفلسفي ارتأينا تتبع تمفصلاتها ومحاولة نقلها إلى العربية من النص الفرنسي الأصلي أي كتاب ثورة المحبة الذي لم نعثر له على ترجمة عربية مقارنة ببعض أعمال لوك فيري الأخرى التي نقلت إلى الساحة العربية مثل الانسان المؤله l'homme-dieu ou le sens de la vie (فيري، 2002)أو تعلم الحياة (apprendre à vivre traite de philosophie à l'usage des jeunes génération) (فيري، دت) ، و كتاب أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، (فيري و كبلياي، 2015)، وكتاب مفارقات السعادة (فيري، 2018) و التي من خلالها تعرفنا على فلسفة لوك فيري المعاصرة ذات التوجه الوجودي.

ففي كتابه ثورة المحبة الذي جاء في ثلاثة فصول بارزة : ثيوريا (I-THEORIA)، ثم الأخلاقية(II-MORALE) ثم الروحانية(III-SPIRITUALITE)، يسرد لنا لوك فيري المهام المنوطة بالفلسفة و هي تقديم معنى لوجودنا و البحث عن سبل النجاة، لماذا نستحق العيش في الحياة و نحن نعلم بقصرها وخاتمتها وما الذي يجعلنا نستعد للموت من أجل مُثل واعتقادات حسب رأيه فالبحث في هذه القضايا والاشكالات لأجل الوصول للخلاص مرهون بالاهتمام بالفكر الفلسفي لبلوغ اليقين والاجابة عن تساؤلاتنا من أجل حياة طيبة لنا نحن البشر الفانين، حياة كفيلة بإنقاذ وجودنا و منح مشروعية لقيمنا الاخلاقية .

و لعل ما يستدعي الملاحظة والانتباه عنونة الفصل الأول بالكلمة ذات الأصل اليوناني (THEORIA)، ومنها اشتقت نظرية (theory) لكن في عملية التأثيل لها نجدها مرتبطة بكلمة أخرى وهي مسرح، "فكلا الكلمتين (مسرح) و(نظرية) لهما نفس الأصل اللغوي من الكلمة اليونانية

(THEORIA)، والتي لها معنيان مختلفان: فمن الممكن أن تأتي بمعنى المراقبة و الفحص، والمشاهدة والرؤية بشكل أكثر تحديدا تعني المتفرج في مهرجان مسرحي فالمصطلح اليوناني قد أسس لعلم دلالة الألفاظ التي تربط بين التفكير النظري المجرد و الملاحظة المسرحية المباشرة " (كريستوفر، 2014، صفحة 94)

لوك فيري (1952) الفيلسوف الفرنسي الذي شغل منصب وزير التربية والتعليم هو واحد من الفلاسفة الجدد، الذين أحدثوا تحولا عميقا في الأوساط الفلسفية السائدة، برموزها المعروفة أمثال جاك دريدا وجاك لاكان وجيل دولوز وميشال فوكو...، لاعتقادهم أنّ الفلسفة ضلت الطريق بتوغلها في مباحث فكرية ومعرفية عويصة ومعقدة لا يفهمها إلا خاصّة الخاصّة، و قد لقي هذا التيار الجديد نجاحا غير مسبوق لانتهاجه خطابا مبسَطا في تحليل القضايا الراهنة التي تشغل إنسان هذا العصر، كما شهدت كتاباتهم إقبالا شديدا لدى عامّة القرّاء، إلى جانب لوك فيري، أندري كونت سبونفيل وميشال أونفري وغيرهم (الحريري، 2015).

بعد تخرّجه من السوربون ثم من هيدلبرغ بألمانيا في أواسط السبعينات، التحق لوك فيري بالتدريس، فدرّس الفلسفة والعلوم السياسية في جامعات فرنسية كثيرة، وبدأ نشر إنتاجه منذ 1985 بكتاب ينتقد الفكر الفلسفي السائد، وعنوانه (مقال في مناهضة الإنسية المعاصرة) ثم أصدر كتابا بعنوان (النظام الإيكولوجي الجديد) وآخر بعنوان (الإنسان الإله أو معنى الحياة) و مصنفات أخرى. (kolalkotob.com/author562.html)

ففي عنوان مقدمته التي تضمنت مصطلح الانسانوية(l'humanism)، بدل الانسانية للمبالغة و الغلو كما أن اللاحقة (ism) تدل على المذهب أو النظرية، و الانسانوية تعود جذورها للفلسفات القديمة التي طرحت عديد من التساؤلات تصب في هذا المصطلح مثل هل الاله موجود؟ ما الذي يحقق حياة ذات معنى؟ فالإنسانوية الحديثة استندت على إرث فكري غني و ممتد منذ الهنود واليونان و الاغريق.

و لعل أهم فيلسوف اغريقي من وجهة نظر الانسانوية هو أبيقور 341-271ق/م الذي كان يعتقد أن للفلسفة وظيفة علاجية في الأساس و كان هدفه وضع فلسفة في الحياة من شأنها أن تتيح لنا التمتع بحياة سعيدة و هادئة خالية من الخوف، على الرغم من أن أبيقور سلّم بوجود آلهة، فقد افترض أنها قد لا تكون مهتمة بأمور البشر فليس هناك حاجة للخوف منها لا تكافئنا و لا تعاقبنا، كما أنه لا ينبغي الخوف من الموت لأنه بمجرد أن نموت ينقطع وجودنا و لا نشعر بأي شيء، لكن أسيء فهم أبيقور فيما بعد فهو لم يدع للذة المطلقة بل وضع منهجا لحياة طيبة بمعزل تام عن أي شواغل بشأن الآلهة أو الكيانات فوق الطبيعية. (ستيفين، 2017، صفحة 19)

أما في عصر التنوير الذي بدأ فعليا مع ايمانويال كانط 1724-1804 ودافيد هيوم 1711-1776 اتضحت ملامح الانسانوية فقد شهد القرن 19 مظهرا جديدا للانسانوية متمثلا في نقد الكتاب المقدس و انكار الأفكار الدينية التقليدية، لتنبثق نظرية أخلاقية في بريطانيا عرفت باسم النفعية مع جون ستيوارت ميل 1806-1873، وجريمي بنثام 1748-1832، و قد حددت هذه النظرية الخير الاخلاقي من منطلق السعادة . (ستيفين، 2017، صفحة 27)

لقد كان نشوء النفعية مهما لنشوء الانسانوية الحديثة و النظر للمنظومة الاخلاقية بمعزل تام عن أي معتقد ديني، و رغم سلسلة الاضطهادات لحركة الالحاد وظهور مصطلح العلمانية لم يستمر الوضع على حاله فقد تراجع الدين على نحو كبير في أوربا وأصبحت الانسانوية جزءا من الاتجاه السائد في أوربا إبان النصف الثاني من القرن العشرين. (ستيفين، 2017، صفحة 30)

فالإنسانوية في السياقات الحديثة هي النزعة الانسانية أو الهيومانية " و هي عقيدة مجموعة من السلوكيات أو طريقة للحياة متمركزة حول اهتمامات الانسان أو قيمه، ترفض ما فوق الطبيعة و تعتبر الانسان موضوعا طبيعيا تؤكد على كرامته و قيمته و قدرته على تحقيق الذات من خلال العقل و المنهج العلمي". (الرمّاح، 1439، صفحة 20).

أمّا (ستيفن لو) فقد عرّفها بأنها منظومة فكرية تولي اهتماما للقيم و الكرامة الانسانية و حدد بعض سماتها كارتباطها بالعلمانية ، فالإنسانويون يؤمنون بالعلم والعقل بعيدا أن أي معتقد ديني فهم إما ملحدون أو لا أدريون، يؤمنون بأهمية القيم الأخلاقية عن طريق دراسة الطبيعة الفعلية للبشر دون الرجوع لمعتقد أو سلطة دينية فهم علمانيون يفضلون مجتمعا ديمقراطيا يتمتع فيه الأفراد بالحرية. (ستيفين، 2017، صفحة 10)

2.النص المترجم: ثورة الحب والعاطفة وتحولات الإنسانوية:

–إنه دليل في غاية الوضوح ، يعبر باستمرار ويزعج حياتنا الخاصة. ومع ذلك ، فإننا بالكاد نجرؤ على الاعتراف بذلك خارج العلاقة الحميمة الأكثر تقييدا: إنه الحب الذي يعطي معنى كاملا لحياتنا، وهو الذي يجبرنا، ولو من أجل أطفالنا فقط، على عدم الاستسلام للتشاؤم، والاهتمام بالمستقبل، وعدم إهمال الحياة السياسية التي نعتبرها أيضا سخيفة، لقد تم الآن تخطي معظم المحرمات القديمة، لم نعد نتردد في الحديث عن الجنس والمال وحتى الموت، تحت تأثير العلوم الإنسانية وفلسفات الشك والماركسية والتحليل النفسي ، لم يعد تجاوز المحظورات يخيفنا ، بل الحب ، من الغريب ، من الصعب علينا التحدث بسبب هذا،إنه مجرد موضوع للتفكير المفاهيمي. بالنسبة للجزء الأكبر ، لا يزال المجال المحجوز للخيال أو السينما أو الأغنية، والآن، بجميع أشكاله، سواء سمّي بالشعور أو العاطفة أو الحنان أو الصداقة أو الأخوة، سواء كان يتعلق بزوجاتنا أو أزواجنا، أو أطفالنا أو آبائنا، أو إخوتنا، أو أخواتنا، أو أصدقائنا، أو حتى، كما هو الحال في التقليد الخيري ، على البشرية جمعاء، هو الذي يحرك حياتنا النفسية والأخلاقية والروحية والثقافية وحتى كما سنرى في الحياة

الفكرية والسياسية التالية، إذ بدونه لا شيء يأخذ أي معنى بالنسبة لنا سيكون هذا ، لمرة واحدة ، خيبة الأمل الحقيقية للعالم عندما يهرب منا ، لسبب أو لآخر ، نفتقده – بسبب موت أحد أفراد الاسرة ، أو الانفصال ، ، أو فترة بسيطة من تراجع في الحب – فإن الكون كله يصبح مملاّ ومظلما.

– ما أقوله ههنا ، الجميع يعرف ، الجميع يشعر بذلك، إنها تفاهة، أو ما هو أقل من ذلك، ذاك هو الموضوع الكامل لهذا الكتاب، هو أن الحب لم يعد مجرد تجربة حميمة ومروعة أو صادمة كما كانت بالتأكيد منذ فجر التاريخ، ولكن لأول مرة ربما في التاريخ، أصبح الحب المبدأ المؤسس لرؤية جديدة للعالم، المنزل الحقيقي الذي يعطي معنى ويعيد تنظيم القيم التي غذّت الحضارة الأوروبية الحديثة. في الماضي ، كانت هناك مبادئ أخرى تماما تأمر بأخلاقيات أسلافنا: كون الإغريق ، إله اليهود والمسيحيين ، العقل وحقوق الإنسانية الحديثة والجمهورية ، بامتداداتها السياسية ، الوطنية ، الاستعمار أو الفكرة الثورية كانوا في وقتهم أسبابا للتضحيات الجماعية أكثر بروزا بل وأكثر بروزا بكثير من متطلبات الحياة العاطفية،في الغرب الحديث، وتحت تأثير تاريخ فريد جدا، تاريخ الأسرة الحديثة، والميلاد، ثم تعميم الزواج المختار بحرية، فحلّ الحب تدريجيا محل جميع المبادئ الأخرى التي توفر المعنى، وجميع المصادر الأخرى لإضفاء الشرعية على أقوى مثلنا العليا.

هذه هي القصة التي أود أن أرويها ههنا.

– قبل كل شيء، أودّ أن أحاول استخلاص الدروس الرئيسية على المستويات الفكرية والأخلاقية والسياسية والروحية، العمل ليس بهذه البساطة، ما يجعل الأمر صعبا هو العمى الذي نغرق فيه دائما داخل الاضطرابات التي تغير علاقتنا مع العالم والتي ليس لها اسم بعد، تماما مثل الأسماك في وعائها ، من المستحيل بالنسبة لنا أن ننظر إلى أنفسنا من الخارج، ومع ذلك، هذا ما ينبغي أن نكون قادرين على القيام به إذا أردنا أن نفهم التطورات الأساسية، التي تحدث أمام أعيننا دون أن نتمكن من ملاحظتها.

–مثل الوعي البائس الذي وصفه هيغل * بشكل جيد في مقدمته، فإننا نميل إلى أن نرى في التاريخ فقط ما ينهار ويموت، ولا نرى أبدا تقريبا ما ينشأ ويأتي إلى الحياة، ومن هنا جاء ميلنا إلى التشاؤم، وهو ميل أقوى لأنه يعطي أجنحة للتفكير السلبي على النقيض من التفاؤل ، دائما ما يكون سخيفا بعض الشيء ، فإن الرؤية المضمحلة في الوقت الحاضر تمنح على الفور أولئك الذين يعترفون بها افتراضا جميلا للوضوح ، ناهيك عن الذكاء. فمن أين يصبح التشاؤم مرض القرن. اليوم هناك عدد لا يحصى من المقالات التي تعلن

* (فيري) هيغل في مقدمة الفينومينولوجيا، عندما يصفها من خلال لعبة الكلمات غير القابلة للترجمة ، من خلال رؤية قيمتها تنهار، و ينتهي بها الأمر إلى الشك (Zweifeln) واليأس (Verzweiflung) من كل شيء... هذا بلا شك هو الظهور الأول إلى فلسفة شخصية مدعوة إلى مستقبل مزدهر، والتي، اليوم لا مفر منها، من "كل شيء سينهار و يتحطم" ...

نهاية الأعمال العظيمة ، وتندد بأوهام المعنى ، وأزمة القيم ، والرأسمالية ، والبيئة ، وفقدان المعالم في الأجيال الشابة ، وخيبة أمل العالم ، وعصر الفراغ ، وتراجع أوروبا ، والتربية المدنية والأخلاق العامة ، وهزيمة الفكر ، انهيار الإنسانية في الابتزاز الأمريكي ، وصعود النزعة الاستهلاكية البهيجة و décérébré ... تنبأ بطول الصفحات ، التي رخامها (شوبنهاور) ، (موراي) المروع أو (سيوران) المحتوم الذي لا مفر منه ، التقصير القاتل للقارة العجوز. النقد الشامل ل "البوذية" المعاصرة والاضطرابات ، والترفيه التراجيدي الهزلي الذي يغزو المجتمع الحديث ، والثناء على ذكريات الماضي ، والبطء في الدخول في مقاومة ضد عبادة السرعة التي تستولي على الرجل في عجلة من أمره في العصر الحديث ، وإضفاء الطابع المثالي على أنماط الحياة التقليدية ، والفلاحين ، لمواجهة أخطاء التصنيع في مسيرة قسرية من قبل العولمة الليبرالية ، وهلم جرا، التشاؤم في جميع الطوابق، التي سأعارضها بكل سرور كلمة (برنانوس): إذا كان المتفائل أحمق سعيد ، فإن المتشائم غالبا ما يكون مجرد أحمق مؤسف – ملاحظة أدق مما يبدو ، والتي يمكن أن تكون مفيدة كنقطة مضادة لروح العصر ، المعادية للحداثة والاكتئاب ، لتشجيعنا على إعادة فتح النوافذ ومحاولة ، وليس الثناء أو الإدانة بداهة ، ولكن ببساطة لفهم الأوقات التي نعيش فيها.

– وقناعتي هي أن أوروبا القديمة، على الرغم من كل عيوبها، ليست سطحية ولا مأساوية كما يدعي المرء أنه يعتقد من أجل الانغماس بشكل أفضل في خطاب نقدي، يبدو هامشيا وشهيدا، وفي الواقع عالميا ومهيمنا. حتى أنني أعتقد أننا نعيش في أوقات مبهجة إلى حد ما ، على أي حال مبدعة بقوة ، وهذا لسبب أساسي كان تحليله هو الخيط المشترك لعملي منذ حوالي خمسة عشر عاما: تحت تأثير ارتفاع قوة منطق الشعور والعاطفة والحب كمبدأ للمعنى ، نحن نشهد ولادة شخصية جديدة من المقدس الذي يحدث ثورة في حياتنا ببطء ولكن بثبات. هناك وجه جديد للإنسانية آخذ في الظهور ، والذي يوسع "فكرتنا الجمهورية" الشهيرة ، ولكنه يفصل نفسه عنها أيضا في العديد من النواحي وينطوي على روابط جديدة مع الفضاء العام والجماعي والسياسي.

– ليس سوء فهم: أعني هنا مصطلح "مقدس" ، ليس بالمعنى الديني ، ولكن بمعناه الاشتقاقي والفلسفي ، ليس كنقيض للتدنيس ، بل بالأحرى "لماذا يمكن للمرء أن يضحي بنفسه" ، أو يخاطر أو يعطي حياته ومن وجهة النظر هذه، على سبيل المثال، قد يتحدث (اللاأدري) أو (الملحد) عن "القيم المقدسة" ليعني أنه، على العكس من روح ميونيخية، يمكنه، إذا لزم الأمر، الدفاع عنها معرضا حياته للخطر.

– ومع ذلك، في فجر هذا القرن، لا يمكن إنكار هذه الملاحظة، حتى لو كانت لا تزال تستحق أن تستنير بالتأمل الفلسفي: فقد تمت تصفية الدوافع التقليدية للتضحية الجماعية حرفيا، على الأقل في أوروبا، والتي كادت أن تسيل بسبب التفكيك العظيم للقيم والسلطات التقليدية التي ميزت القرن العشرين حتى مايو 68. من الذي لا يزال يريد اليوم، من الأجيال الشابة، أن يموت من أجل الله أو الوطن أو من أجل الثورة؟

لا أحد أو تقريبا ،لا يزال هناك آلهة مجنونة وقوميون متعصبون وحتى بعض الثوريين، ولكن دعونا نعترف بذلك، فهم يأتون أساسا من تلك الأجزاء من العالم التي، على عكس ديمقراطياتنا القديمة، لم تشهد التشكيك المذهل في التقاليد، هذه العملية البطيئة ولكن الحتمية لعلمنة القيم التي ميزت قارتنا، والآن، وخلافا للكآبة السائدة، أزعم أن هذا الكسوف للشخصيات التقليدية المقدسة، على الرغم من آثاره المنحرفة العديدة من حيث التعليم والتربية المدنية، هو في مجمله أفضل الأخبار، ليس حتى في القرن، ولكن ربما في الألفية، الحروب الدينية والقومية والثورية لم تعد وصفة لنا؟ جيد، بصراحة، لا أرى بأي صفة ينبغي أن نشكو من ذلك.

– خاصة وأن تصفية الدوافع التقليدية للتضحية ضد فكرة أخرى واردة لا تؤدي إلى "خيبة أمل العالم" ولا إلى النصر غير المنقسم ل "عصر الفراغ"، يكفي أن نتساءل عن الأسباب التي لا تزال يمكن أن تقودنا إلى المخاطرة بحياتنا ، وإدراك أنها لم تختف جميعا ، وأن علاقتنا بالمقدسات ، التي تفهم على أنها سبب لترك أنفسنا ، لتعليق الأنانية الفردية ، لا يتم إبادتها بأي حال من الأحوال، ببساطة ، تحت تأثير تاريخ الخصوصية وصعود متطلبات العاطفة ، تغيرت أغراضها، لقد تم تجسيدها في أماكن أخرى ، في الناس ولم تعد في التجريدات ، وهذا هو ما هو عليه مسألة فهم ، قبل اتخاذ أي حكم من أي نوع على الوقت الحاضر.

– الكائنات الوحيدة التي سنكون مستعدين لها من الآن فصاعدا، إذا لزم الأمر، لوضع وجودنا على المحك هي أولا وقبل كل شيء البشر، لم تعد المثل السياسية أو الدينية، بل كائنات من لحم ودم، بدءا بالطبع مع من نحب، مع أولئك الذين إذا جاز التعبير تجلى، ثم "مقدسة" بالحب. وهكذا فإننا نعيش في لحظة إعادة تأسيس لا مثيل لها، واحدة من تلك الفترات النادرة والثمينة التي يجب علينا فيها أن نكتشف، أو حتى نخترع، رؤية جديدة للعالم تؤثر على جميع مجالات الوجود البشري، من المعرفة النظرية إلى الأخلاق، من الميتافيزيقيا إلى السياسة والحياة اليومية، إنه نوع من الثورة الكوبرنيكية التي، تتجاوز المبادئ التأسيسية القديمة **لتجعل الحب والصداقة والأخوة الأساس الجديد لقيمنا وتضعه في قلب اهتماماتنا.**

– هذا لا يعني، بطبيعة الحال، أن الأنانية قد اختفت، ولا أن الرأسمالية الحديثة هي مجتمع فردي وتنافسي شرس حيث يسعى الجميع إلى البقاء على قيد الحياة بأفضل ما يمكنهم، دون أن يكون ذلك دائما، بعبارة ملطفة، يهتمون بجيرانهم، في الملاحظة التي أقترحها هنا، لا توجد أي جنون أو رغبة في تجميل الوضع، فقط الوعي الواضح بأن المبادئ القديمة لم تعد وصفة من حيث المعنى، في حين أن منطق الحب والعاطفة، مهما كان عويصا، بما في ذلك وربما حتى داخل الزوجين [*] ، يغزو حرفيا الفضاء الخاص إلى درجة أنه يفيض

[*] تؤيد الدراسات منذ أن أصرّ مونتين (Montaigne) على أن الحب ، عندما يأخذ شكل العاطفة ، فإنه يطرح مشاكل بين الزوجين أكثر مما يحلها. إنه على وجه الخصوص في أصل الطلاق الذي يرتبط تقنينه في نهاية القرن التاسع عشر بصعود الزواج القائم على الحب ، وبالتالي على رابط هش ومتغير بشكل أساسي. ومع ذلك ، نحن ملتزمون بالشغف. والدليل على ذلك هو حقيقة أنه بعد الفشل في

باستمرار على المجال العام، وليس من قبيل المصادفة أننا نطالب الآن بأن تخدم السياسة أولا وقبل كل شيء، ليس مجد الأمة، ناهيك عن مجد الإمبراطورية، بل ازدهار حياتنا الشخصية وإعداد حياة أطفالنا، التي نعلم أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الآخرين، وبالمقارنة مع القرون الماضية، فإن كلمة الثورة هي في الواقع كلمة مناسبة، وثورة تؤثر على جميع قطاعات الحياة البشرية، وتغيير في المنظور تكون عواقبه، بما في ذلك على المستوى الجماعي والسياسي، غير محدودة عمليا.

– وكما سأبين لاحقا، إذا كانت الثورة المعنية هي بالفعل بداية لإعادة سحر معينة للعالم، فيجب أيضا تحديد أن هذه الأخيرة لا تتم من خلال العودة إلى الماضي، على أساس إلهي وديني، ولكن من منظور جديد إنساني وعلماني، ولكي نكون صادقين، فلسفي ا إننا نعيش أوروبا القديمة، التي يزعم خطأ أنها تحتضر، عندما تكون مجرد أقلية، واحدة من تلك اللحظات التاريخية المتميزة التي يهتز فيها كون قديم بينما ينطلق عالم جديد، وهذا هو بالضبط الاضطراب التاريخي الكبير الذي أود أن أحاول وصفه وتفسيره هنا، لأنه مرتبط بظهور وجه جديد للإنسانية، وبرؤية فلسفية جديدة للعالم تغير اللعبة على المستوى الخاص والجماعي – ما بدأت أصفه قبل بضع سنوات، بأنه "إنسانية الإنسان الإله"، أو "إنسانية ما بعد كانط وما بعد نيتشه"، أو "ما بعد الجمهورية وما بعد الميتافيزيقيا"، ومن هنا جاء الاهتمام المتزايد باستمرار بما أسميته، مع أندريه كونت سبونفيل، "حكمة الحداثيين" أو "الروحانية العلمانية"، أي مفهوم الفلسفة الذي يسند إليها أساسا مهمة التفكير في مسألة الحياة الجيدة دون المرور بإله أو إيمان، ولكن بالوسائل المتاحة لها، تلك الخاصة بإنسان يعرف نفسه على أنه بشري ، متروك لنفسه وللمطالب الوحيدة لوضوحه.

– ما يهمني هنا في المقام الأول هو أن أفهم كيف أن السؤال النهائي للفلسفة، السؤال الذي سبق أن أظهرته في مكان آخر * كيف يكمن بالضبط في هذا الاستجواب للحياة الجيدة، التي هي الحكمة نفسها، يكمن اليوم، أعتقد أن القارئ سيفهمني منذ البداية إذا أشرت إليه أنه دائما فيما يتعلق بالمقدس يتم تحديد المعنى، وكما يقول المثل العربي القديم: "إن الرجل الذي لم يجد في حياته دافعا لفقدانه هو رجل فقير، لأن هذا يعني أنه لم يجد معنى وجوده" * لأي سبب؟ لأن إمكانية التضحية هي دائما مؤشر ما نعتبره أساسيا والذي ،

الحب، نسرع على الفور إلى البدء مرة أخرى ، بمجرد أن تسنح الفرصة ، "قصة أخرى". انظر مرة أخرى هذه النقطة في الكتاب الجميل لباسكال بروكنر(Pascal Bruckner) ، مفارقات أو متناقضات الحب (*Le Paradoxe amoureux*- Grasset,2009).

* في المجلدين الأولين من كتاب: تعلم العيش

* العديد من الفلاسفة المعاصرين ، ومنذ شوبنهاور خاصة ، يشككون في فكرة "الشعور بالوجود"، في الواقع يبدو الأمر للوهلة الأولى عبثا لأنه يفترض أنّ المرء يضع نفسه-إذا جاز التعبير- خارج الوجود لكي يمنحه المعنى العام وفق ما يسمح به الدين فقط ، و ليس الفلسفة العلمانية، عموما معظم الجزء الأخير من هذا الكتاب، المخصص للجانب الروحي للعلمانية، سيكرس لدراسة هذا الاعتراض.

على نفس المنوال ،كبوصلة داخلية ، حتى دون وعي ، يعطي معنى وقيمة لما نفكر فيه ونفعله ونسعى إليه، لذلك يرتبط تاريخ شخصيات المقدس ارتباطا مباشرا بتاريخ المعنى ، ولا يمكن فصل الأسئلة الفلسفية حول الحياة الجيدة عنه إذا لم يعد المقدس موجودا بالنسبة لنا في الكون أو في الإلهي ، ولا في الوطنية ولا في الفكرة الثورية ، ولكن إذا ، من الآن فصاعدا ، تحت تأثير تاريخ الحب المرتبط بتطورات الزواج الحديث والأسرة ، فإنه يميل إلى التجسد في الإنسانية نفسها (التي تولد إنسانية جديدة) ، ومن ثم، فإن تعريفاتنا للحياة الجيدة والحكمة تتأثر بالضرورة إلى أقصى حد – وهو ما ينطوي أيضا على نهج فلسفي جديد، أي روحانية علمانية جديدة–، وهي صيغة أعلم أنها تبدو غامضة، لكنني سأشرح معناها بوضوح تام في الجزء الثالث من هذا الكتاب.

– ومن هنا تأتي الحاجة إلى البدء بتقديم لمحة عامة عن التطورات الروحية والأخلاقية الرئيسية التي ميزت القرن العشرين وقد تميز هذا الأخير، على الأقل في أوروبا، بثلاث سمات رئيسية، يشكل تحليلها قلب الجزء الأول من هذا العمل، إنها تشكل، إذا اعتمدنا المسافة المناسبة، صورة للتماسك المثير للإعجاب ومن الواضح أنها تقودنا إلى صياغة المسألة القديمة للحياة الجيدة بعبارات جديدة.

السمات الثلاث المميزة للوقت الحاضر:

1.ومما لا شك فيه أن السمة الأولى تكمن، على المستويات الأخلاقية والفكرية والثقافية وحتى الروحية، في هذا "التفكيك" الهائل للقيم التقليدية، الذي يغذيه في حد ذاته نقد للماضي ربما لم نكن نعرفه قط في تاريخ البشرية، إنها بالطبع ، و بالتأكيد التي تغذي التدفق المتشائم الذي ذكرته في البداية، صحيح أن عالمنا المعاصر، سواء كان فنا أو أخلاقا أو حالة المرأة، أو ما يسميه المؤرخون "نهاية الفلاحين"، أو وطنية، أو احتراما للمعلمين في المدارس، قد شهد تحولات بسرعة وعمق لم يسبق لها، فكيف لا نتأثر به، حتى لو نظرنا إلى بعض مساحات التحرر التي تم تحريرها (خاصة في حالة النساء) بعين إيجابية؟ على السطح، كانت هذه التغييرات بتأثير احتجاجات متعددة، هي نفسها ورثة الفكرة الثورية: باسم "الحياة البوهيمية" ،كما هو الحال في أغنية أزنافور ، أردنا أن نجعل اكتساحا نظيفا للماضي والتقاليد لاختراع عالم جديد ، يوتوبيا حيث سيكون من الجيد العيش في النهاية مغامرة قاتلة في بعض الأحيان ، بلا شك ، ولكن قبل كل شيء مثيرة ومغرية أكررها هنا – وآمل أن يشاركني قارئي حماسي – بعض اللحظات القوية بشكل خاص منذ سنوات 1830.

– للوهلة الأولى، إذن، سيكون التفكيك من عمل الطليعة، عمل "المتظاهرين" الشباب، البوهيميين، ثمانية وستين قبل الرسالة إذا جاز التعبير، بدلا من "اليسار"، على أي حال ثوري، مدفوعا بالقناعة المثالية البحتة بأن "الحياة الحقيقية في مكان آخر... ». الواقع ،كما سنرى بطريقة منطقية ، مختلف تماما ، وإذا لم

نقتصر على المظاهر وحدها، فعلينا أن نعترف بأن المحرك الحقيقي للتاريخ الحديث لم يكن التنافس البوهيمي، بل الرأسمالية، التي اتخذ وجهها الحديث اسما جديدا، وهو "العولمة"، التي يجب ألا تقودنا إلى الضلال: فهي دائما "رأس المال الكبير" وصوره الرمزية. نحن لا نفهم أي شيء في القرن العشرين إذا لم ندرك أنه تحت الحصى ، لم يكن هناك شاطئ (سيكون معروفا!) ، ولكن في الواقع "العولمة" الليبرالية ، وهذا لسبب واضح ، والذي من المستحيل إهماله بعد الآن في تحليل الوقت الحاضر: كان من الضروري ، بكل بساطة ، أن..

– تم تفكيك القيم التقليدية من قبل البوهيميين حتى نتمكن من دخول عصر الاستهلاك الشامل الذي بدونه لا يمكن للاقتصاد العالمي "التحول"، يمكن صياغة المنطق وراء هذا التأكيد على النحو التالي: كلما امتلك المرء قيما ثقافية وأخلاقية وروحية قوية ومستقرة – ما أشار إليه المحللون النفسيون منذ فرويد باسم "التسامي" – كلما كان لدى المرء "حياة داخلية غنية" ،كلما قل خضوعه لمنطق النقص الإدماني الذي يدفع دائما بشكل لا يقاوم إلى الاستهلاك الجامح. إن التفكيك المرتبط بصعود المجتمع الفردي والممتع والمرح الذي يعززه الاقتصاد الرأسمالي بالضرورة يولد مواقف استهلاكية تتحول أحيانا ، في الفترة التي تسبق الأعياد على وجه الخصوص ، إلى جنون نقي وبسيط، مثل الأطفال الذين يرمون ألعابهم بعد ثلاثة أيام من عيد الميلاد ، نشعر بالحاجة التي لا يمكن كبتها لتغيير الملابس أو أجهزة الكمبيوتر المحمولة أو السيارات بمجرد أن نتعب، ثم نلتهم المجلات والمجلات التي تقدم لنا المستجدات المختلفة تحت المظهر الخارجي الأكثر جاذبية ونحب أن نحلم بمشترياتنا قبل صنعها – الإدراك يتبع حتما تقريبا ، إن لم يكن خيبة الأمل ، على الأقل من خلال التعب الجديد الذي لا شك أن سرعة استنساخه متغيرة ، ولكن مصطلحه ليس أقل تأكيدا فقط القيم القوية والمثل العليا طويلة الأجل يمكن أن تحد من هذا المنطق، بقدر ما كان مسليا بقدر ما كان مدمرا: كان يجب أن يكون، بالمعنى الحرفي للسوائل، مميع، حتى يصبح الاستهلاك أيضا سائلا في نفس الحركة.

– لذلك كانت العولمة الليبرالية هي القوة الدافعة الحقيقية وراء تاريخ تفكيك التقاليد التي كتبها الرجال على اليمين واليسار دون معرفة التاريخ الذي يكتبونه ، اعتقد البوهيميون أنهم يدمرون المجتمع الاستهلاكي الذي اعتبروه مبتذلا ومنفرا، وكرههم البرجوازيون بسبب الخوف الذي ألهموهم فيه، حتى فهم الاثنان أخيرا أنهما يعملان في الواقع في نفس الاتجاه، اتجاه التنقل بأي ثمن، التغيير الدائم، الابتكار من أجل الابتكار الذي بدونه لا يمكن للاقتصاد الغارق في المنافسة العالمية أن يزدهر ببساطة ، مصالحة لا يمكن وقفها، على ما يرام، بين البرجوازي والبوهيمي في شخصية "بوبو" الذي يعتقد، إذا صدقنا الأغنية، "مثل الأناركية ويعيش مثل مليونير".

(ردّد لوك فيري في مقاله مصطلح بوهيمي أكثر من مرة و البوهيمي ما يحيل على قصة –ملك بوهيميا و القصور السبعة لشارل نودي المنتقد لمادية البورجوازية لذلك يركز على الكآبة، أما بوهيمية Bohème، و في المعاجم 1830–، يشيد بالتيه و التشرد bohémianisme، فهي حركة

أدبية رومنسية هامشية–تقاطع الاحلام في أمير بوهيميا 1840 لبالزاك، و البوهيمية الأنيقة لجيرار دو نارفال كمرحلة ضرورية للحياة الفنية الساخرة من الجاهز و القائم في الحياة) (الاليسكو، 2015، صفحة 27).

–ومع ذلك، كانت هذه العولمة، بالمناسبة، تحرم السياسات الوطنية تقريبا من جميع دوافع النشاط الذي جعلتها ذات مصداقية في زمن الجنرال ديغول وأوروبا للأمم، إن نزع الملكية الديمقراطية والعجز العام المتزايد في مواجهة العمليات المعولمة التي يفترض، من أجل السيطرة عليها وتوجيهها، ظهور "حكم عالمي" لا يمكن تعقبه، وهو نفس الحكم الذي يحلم به مهندسو مجموعة العشرين اليوم دون أن يتمكنوا من إعطائها مضمونا إلا بطريقة هاربة وبدائية: وهذه بلا شك ثاني أكثر السمات لفتا للانتباه في نهاية القرن العشرين، ظاهرة العجز العام المرتبطة بحقيقة أن حوافز السياسة الوطنية لم تعد ترفع الكثير في الإطار العالمي الجديد الذي أحاول تحليله هنا وصولا إلى أعمق جذوره الفلسفية.

3– ولا يزال يتعين التفكير في السمة الثالثة، لأن العولمة سيكون لها أثران متناقضان فكريا وأخلاقيا، الأول كما ذكرت للتو، هو تفكيك القيم والسلطات التقليدية، لكن الثاني يذهب عكس ذلك تقريبا، أعني أنه يدفع نحو "إعادة الإعمار"، وحتى إعادة سحر العالم تحت تأثير تاريخ العمل المأجور الذي ينطوي على ذلك، سنرى لاحقا كيف ولد شكل جديد من أشكال الحب والحياة الأسرية، لم يعد قائما على زواج العقل، بل على اختراع زواج الحب والاتحاد المختار بحرية، بعد تحرير الأفراد من الهياكل المجتمعية التقليدية لقرى العصور الوسطى. قصة مثيرة ، أيضا ، والتي سنعود إليها في لحظات قليلة ومن هنا جاء العنوان ، الغريب للوهلة الأولى ، الذي أعطيته لهذا الكتاب ، لأن هذا الشكل الجديد الممنوح لأقدم شغف إنساني هو الذي يجعل في نظري النغمة الأساسية في ذلك الوقت الحب ، حتى أنني أود أن أقول "حب الحب" ، هو الشيء الأكثر مشاركة في العالم اليوم ، ما يبحث عنه الجميع أكثر من أي شيء آخر ، من مشغل لوحة المفاتيح إلى قائد الأعمال ، من النجمة إلى المثقف ، من اليمين إلى اليسار إنه مرة أخرى ، لأسباب أساسية سنحاول كشفها هنا ، الذي ، مع إعطاء معنى في حياتنا ، يدعو كما هو الحال في أشكال جديدة من الحكمة والروحانية.

– تاريخ البوهيميا، تاريخ زواج الحب: هذان، بالتالي، على المستوى "المجتمعي"، هما الأثران المتناقضان للعولمة الليبرالية التي أصبحت في النهاية مسألة فهم عميق للتماسك والينابيع الأساسية لأنه من الواضح أنه في قلب التاريخ الذي نعيشه اليوم ، فهو المحرك والوقود على حد سواء.

العقل والمشاعر:

ولادة إنسانية جديدة ، مابعد الكانطية، ما بعد النيتشوية

-La naissance d’un nouvel humanisme, postkantien et postnietzschéen.

– إن القناعة التي تحرك هذا الكتاب وتوفر الخيط المشترك هي كالآتي : تحت تأثير التفكيك الذي ذكرته للتو ، تلاشت المبادئ التأسيسية للرؤى العالمية القديمة – على الأقل ، الدقة مطلوبة ، في أوروبا وفي أقمارها الصناعية الغربية الثقافية، لم تعد الكونيات القديمة والأديان العقائدية تحظى بشعبية كبيرة لدرجة أننا تمكنا من التحدث ، إلى:

–الحدوث الصحيح "لخيبة الأمل من العالم"، ولكن سيكون من الخطأ الفادح أن نتصور أن المبادئ التأسيسية الأولى للإنسانية الجمهورية، أي أن تكون علمانية، لا تتأثر أيضا، إن الفكرة الديكارتية لموضوع حر و شفاف لنفسه، وعن مواطن مصنوع من العقل والإرادة، وقادر على غزو بقية العالم وتوسيع نطاق فوائد الحضارة الغربية، من خلال الاستعمار، لتشمل أكثر الشعوب "تخلفا" و"همجية" قد ولت منذ فترة طويلة، كما تم انتقاد الكوجيتو الشهير، هذا الموضوع الميتافيزيقي، وتفكيكه من قبل الفلسفة المعاصرة بقدر ما تم تفكيكه من قبل البيولوجيا والعلوم الإنسانية التي شجبت "أوهام الوعي" وكشفت عن جزء من اللاوعي، وحتى اللاعقلانية، مما جعل مشروع التنوير ساذجا إلى حد كبير، بل وعفا عليه الزمن.

– كما أن الإمبريالية الاستعمارية لم تنجو من الموجة التفكيكية الهائلة، بحيث أنه من هذه الإنسانوية التنويرية، مهما كانت محببة، لا يزال هناك ما هو أكثر قليلا من المثل الأعلى للمساواة والعقلانية، في النهاية مجردة تماما، وبعبارة أخرى، يجب الاعتراف بأن المبادئ التأسيسية العظيمة على المستوى الأخلاقي والسياسي والميتافيزيقي التي كانت في تاريخ الغرب هي كون اليونانيين، إله اليهود والمسيحيين، ولكن بقدر ما تم تمرير الموضوع الميتافيزيقي للإنسانية الأولى إلى طاحونة التفكيك، على الرغم من أن الحكمة اليونانية لا تزال تتحدث إلينا ، وعلى الرغم من نزع المسيحية الذي ميز بعمق السنوات الخمسين الماضية ، لا يزال هناك العديد من المؤمنين في الغرب ، فإن الكونيات القديمة والدين فيها من الصعوبة في أذهان غالبية مواطنينا. أما بالنسبة للإنسانوية الجمهورية، فإن الجميع، على اليمين واليسار، يزعمون أنها اليوم بقوة يجب أن يكون لديها أيضا بعض الأسباب التي تدعو للقلق لتقديمها، مثل هذا الإجماع الميكانيكي والعام الذي يمتلك دائما شيئا مشبوها من خلال التشبه بما يحيط بالموتى الذين، كما نعلم، يجب أن نقول فقط الخير عنهم " de mortis nihil nisi bene…".

"المثل الذي أدرجه فيري لاتيني "De mortuis nihil nisi bonum"، يقابله بالانكليزية (wikipedia.org.) "about the dead, nothing unless a good thing"، و بالفرنسية "de celui qui est mort ne rien dire que du bon"، أذكروا الأموات بالخير فقط، أو كما في الحديث النبوي "أذكروا محاسن موتاكم" .

– ومع ذلك، أسأل مرة أخرى: هل نحن حقا نعيش، كما يعتقد البعض، خيبة أمل العالم وعصر الفراغ، نهاية كل مبادئ المعنى، وجميع أشكال المقدس، وجميع الارتباطات الأخلاقية القوية؟ أنا لا أصدق ذلك ، وتعال إلى التفكير في الأمر ، كل شيء في ذلك الوقت يظهر عكس ذلك، ليست نهاية المقدس ، ولكن تقديس الآخرين ، وليس اختفاء كل الروحانية ، ولكن ، كما يقولون في تاريخ العلم ، تحول نموذجي جذري ، يبرز تطلعات جديدة إلى حكمة الحب التي بدونها لا توجد حياة جيدة، كما هو الحال في زمن ديكارت وشكه الراديكالي ، الذي يعكس حقيقة أن المبادئ القديمة كانت تأخذ الماء من جميع الجوانب ، وأن الكونيات القديمة كانت تنهار حرفيا بينما كان الدين موضع تساؤل أخيرا ، فإننا نمر بفترة من الشك والتساؤل الشديد ، وقت الشك والنقد الذي يحمل ، تفكيك ملزم ، على جميع القيم وجميع الرؤى القديمة للعالم، وعلى غرار ديكارت، نحن نبحث عن مبدأ تأسيسي جديد، مبدأ قادر على فتح آفاق جديدة، وتأسيس القيم في عصر لا يرافق فيه السخرية والاعتذار الفلسفي عن الهراء سوى أقوى منطق للعولمة الليبرالية.

– ولكن من الواضح أن المبدأ الذي يحل محل (الكوني عند القدماء)، الإله اليهودي المسيحي، فضلا عن (الكوجيتو العقلاني) لديكارت والتنوير، هو الحب بين البشر، مع تصنيفاته المتباينة من حيث الصداقة والأخوة، وكما سبق أن اقترحت، فهو الذي يعطي معنى، ليس لحياتنا فحسب، بل لجميع التزاماتنا، لم يعد المرء ينخرط في السياسة أو في جمعية أو في مهنة ، حتى لو كان محجوزا فقط ، مثل الأب أو الأم ، إلى المجال الخاص وحده ، ولكن لأن المرء يحب العدالة أو الأخوة أو الطبيعة أو الحقيقة ، أو حتى ببساطة أكبر ، أولاده وأقاربه وأصدقائه ، باختصار ، لأننا نحب العلاقة مع الآخرين عندما تكون جزءا من أفق من المعنى. ومن هنا جاء انفصالنا الملموس عن إنسانية عصر التنوير، وإذا كنا نعتز اليوم، بحقوق الإنسان الشهيرة لدينا، وإذا فرضت علينا القناعة، أيا كانت خياراتنا السياسية، بأنها غير قابلة للتفاوض، وإذا قمنا بالتعبئة عندما يدمر زلزال أو حرب حياة الفقراء في تايلند أو هايتي، فإن ذلك لم يعد "خارج نطاق الواجب"، كما لا يزال بإمكاننا القول وربما نؤمن بزمن كانط أو فولتير، ليس لأن الرجال هم أشخاص أحرار وعقلانيون ، ولكن ببساطة لأننا نحب أكثر من أي شيء آخر بعضهم ، أطفالنا وأحبائنا ، نشعر بالعلاقة ، حتى في التعاطف مع الآخرين تبدو لنا اللامبالاة أقل قابلية للدفاع عنها.

– هذا هو السبب أيضا في أننا نشهد ولادة إنسانية ثانية، إنسانية تنحرف أكثر فأكثر عن تلك التي في عصر التنوير، وهي تعمل بالفعل إلى حد كبير، وعلى الرغم من أنها تنطلق في قارتنا العجوز، فمن المحتمل جدا أن تنجح في إلقاء الضوء على بقية الكون المعولم الذي يحتاج إليها كثيرا، هذه الإنسانية ، لا أقول "جديدة" لإفساح المجال ، علاوة على ذلك تلاشت بالفعل ، والتي تتكون من إلزام و بهذه الطريقة أدنى حركة أزياء في المزاج الباريسي. ببساطة، إنها حقيقة سنرى كيف يمكننا أن نجادل فيها بقوة: هذه الإنسانية لم

تعد إنسانية فولتير أو كانط، حقوق الإنسان والعقل، لم تعد إنسانية القرن الثامن عشر، التي حملت بالتأكيد مشروعا واسعا للتحرر ولكنها أدت أيضا إلى الإمبريالية والاستعمار، بل على العكس من ذلك، إنها إنسانية ما بعد الاستعمار وما بعد الميتافيزيقيا، إنسانية سمو الآخر والحب، ونحن بحاجة إلى فئات فلسفية جديدة للتفكير فيها، فئات لم تعد تنتمي إلى الميتافيزيقيا الكلاسيكية، فئات تفترض بالضبط أننا نفكر في (بعد) فيما أسماه نيتشه.

-"أفول الأصنام" (نيتش، 1996)دون أي فكرة عن العودة إلى الرؤى القديمة للعالم، وكما أنه من غير الممكن أن نرسم أو نؤلف اليوم كما لو أن (بيكاسو) و(شونبرغ) لم يكونا موجودين، فمن المستحيل التفكير بعد نيتشه وفرويد وهايدغر كما كان من قبل، لقد حدث نقد الميتافيزيقيا، وكذلك نقد الإمبريالية والاستعمار، ويجب أن نستخلص النتائج للتفكير في العصر الذي لم يعد بالتأكيد عصر التنوير.

***

– ولذلك فهي أيضا فرصة لي للقيام بما لم أفعله إلا نادرا جدا وليس بشكل شامل، أي أن أفضح أخيرا صراحة المكان الفلسفي الذي أتكلم منه، سيجد قرائي الأوفياء العناصر التالية الموجودة بالفعل في كتب أخرى ، ولكن لم يتم التعبير عنها أبدا بطريقة منهجية كما هي هنا. كتبت الكثير عن الآخرين، عن "المؤلفين العظماء"، وخاصة أولئك الذين ترجمتهم من الألمانية إلى الفرنسية، لقد قلت دائما إنه على المرء قبل التفكير بنفسه، وقبل التظاهر ب "الإبداع"، واختراع "فلسفة جديدة"، يجب أن يكون لدى المرء التواضع للتفكير من قبل الآخرين ومعهم، متبعا في ذلك القول المأثور الذي استعاره هيغل من برنارد دي شارتر: *نحن، في الواقع، واحدة من نعم التاريخ، أقزام يجثمون على ظهور العمالقة* ، ولهذا السبب كنت مهتما بحماس، لما يقرب من أربعين عاما، بتاريخ الثقافات والأفكار، لقد حان الوقت لكي أقول، دون غطرسة أو تواضع زائف، ما هي وجهة نظري الخاصة، لأشير إلى كيف أتصور، لم يعد ماضي الفلسفة، بل فلسفتها الحالية الحية لأنها يمكن أن تساعدنا على التفكير والعيش اليوم.

-بدأت أفعل ذلك في كتابي تعلم العيش، – *يطرح الفيلسوف في كتابه (تعلم العيش) مسألة الخلاص في الفلسفة من خلال نظرة تأملية للفلسفة القديمة ثم ولادة الفلسفة الحديثة وصولا إلى ما بعد الحداثة و تفكيك الفلسفة المعاصرة بأسلوبه المفتوح و طريقته السهلة في الطرح يتتبع لوك فيري أسئلة الوجودية القائمة على التأمل العقلي و النقدي من خلال النظر للعالم و تفسيره و البحث عن سبل الخلاص في إنسانيته الجديدة فمعرفة الانسان لذاته و فهمه للآخرين بإمكانه أن يتخطى مخاوفه، فمن خلال فلسفة الراهن القائمة على العلم و العقل و التجربة باستطاعتنا تخليص ذواتنا و ليست الأديان وحدها هي ما يشكل (عقائد الخلاص*) – الذي فهمه القراء اليقظون أنه كان فقط في المظهر كتابا شائعا للأطفال، في الحقيقة ، كانت قبل كل شيء مهنة الإيمان الفلسفي القائم على البراعة الأدبية التي سمحت لي بتوضيح المفاهيم الأساسية

للفلسفة ، إن عصر العولمة الذي انتهت فيه وحشي جدا، وعنيف جدا، لدرجة أنه شجعني على المضي قدما، إنه يتطلب فكرا آخر، لم يعد تاريخيا بل حديثا بشكل واضح، إجابة ورؤية على مستوى الواقع الحالي لعالم رأسمالي وتقني يقدم بدوره كل الوجوه تقريبا، من السحر إلى الابتذال مرورا بالجشع أو الكرم، إن عالمنا، في الواقع، مليء بالتناقضات، ومن المؤكد أن الجشع يتجاوزه الجشع، والصراع من أجل البقاء، والشغف بالنجاح الاجتماعي والمال، ولكنه يتسم بأعلى المطالب الأخلاقية التي حملها الناس على الإطلاق، إنه عموما بلا معنى ، مع إيمان لا يمكن التنبؤ به ومحبط ، ولكن كما لم يحدث من قبل ، يطمح إلى روحانية جديدة.

– لقد اخترت، لفضح هذه الفلسفة في الوقت الحاضر، نوعا أدبيا قريبا من النوع الذي اعتمدته في "تعلم العيش": "القراءة" التي تسمح لي بمخاطبة القارئ دون التفاف عبثي، بطريقة أكثر مباشرة من المقال التقليدي الذي تثبط تحذيراته أو أطواله في بعض الأحيان، اخترت أيضا ، في عرض فلسفتي الخاصة ، تطبيق التقسيم الثلاثي الذي اعتمدته في تعلم العيش على وجهات النظر العالمية الموروثة من الماضي.

هذه هي الطريقة التي ينقسم بها هذا الكتاب إلى ثلاثة فصول رئيسية: 1–ثيوريا أو تحليل العالم المعاصر الذي تكون فيه حياتنا منطقية، 2–لأخلاق أو عقيدة الخير والشر ، العادلة والظلم، 3– السوتيريولوجيا أو عقيدة الخلاص والحكمة والروحانية العلمانية.

بتعبير أدق، هذا التقسيم الثلاثي يتم على النحو التالي:

أولا: ثيوريا، فلسفة العولمة، السمات المميزة للوقت الحاضر: تفكيك التقاليد باسم بوهيميا ، العولمة الليبرالية والتجريد الديمقراطي ، تقديس الإنسان عبر تاريخ ولادة زواج الحب في أوروبا.

ثانيا: الأخلاق، تاريخ موجز للأخلاق، من الرؤى الأخلاقية الخمس العظيمة للعالم التي هيمنت على الفكر والحياة الغربية، أو كيف يقودنا مبدأ الحب إلى الراحة بعبارات جديدة، في إطار إنسانوية جديدة، مسألة قيم القرن الحادي والعشرين.

ثالثا : حكمة الحداثيين والروحانية العلمانية، الامتدادات الروحية للإنسانية الثانية، وظهور المقدس بوجه إنساني وعواقبه على حياة الروح: السياسة والفن والفلسفة.

خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية يمكننا القول أن فلسفة لوك فيري استطاعت أن تشق طريقها في الفلسفة الفرنسية المعاصرة لدوافع عديدة من بينها أنها تناولت قضايا راهنة تشغل الانسان المعاصر، وانتهاجه خطابا فلسفيا مبسطا لتحليل هذه القضايا، أو ما يعبر عنها بانتهاء الأنساق الفلسفية الكبرى والبحث في الراهن

واليومي وهو مشروع الفلاسفة الجدد ومنهم لوك فيري وشعارهم في ذلك تبسيط الفلسفة واخراجها من ضيق الخصوصية مع توظيف الاعلام لمخاطبة الجماهير.

فالفلسفة في نظر لوك فيري هي التي تعلمنا الحياة وتحقق لنا فن العيش فقد اشتغل من خلال طروحاته يبحث في بدايات الفلسفة والحكمة اليونانية القديمة العيش في تناغم مع الكوسموس أو النظام الكوني فمعرفة الانسان مكانته داخل هذا الكوسموس أو النظام الكوني يجعله يشعر بالأمان و يكون الموت مجرد مرحلة انتقالية ينتفي معها الخوف وبهذا يستطيع الان س ان أن يعيش في سعادة و اطمئنان ثم انتقل لوك فيري من التفكيكية المعاصرة إلى النزعة الانسانية و البديل الذي جاء به عصر ما بعد الحداثة و الأنوار ، و التفكير في المجتمع ما بعد الصناعي بعد طغيان الفكر الرأسمالي، فكانت ثورة الحب نتيجة ثورة صناعية جارفة استعبدت الانسان من أجل المال.

فالمحبة في ظل الانسانوية الجديدة هي بمثابة ثورة تسعى لتقديم مبدأ جديد للحياة الانسانية قائم على الحب أو كما عبر عنه لوك فيري بأنه أصبح مبدأً ميتافيزيقيا جديدا يعطي لحياتنا معنى، و يخدم الفرد والمجتمع.

(ملحق): نص مقدمة لوك فيري بالفرنسية من كتابه ثورة المحبة

Luc Ferry La révolution de l’amour, éditeur : J’ai lu Paris, 2011

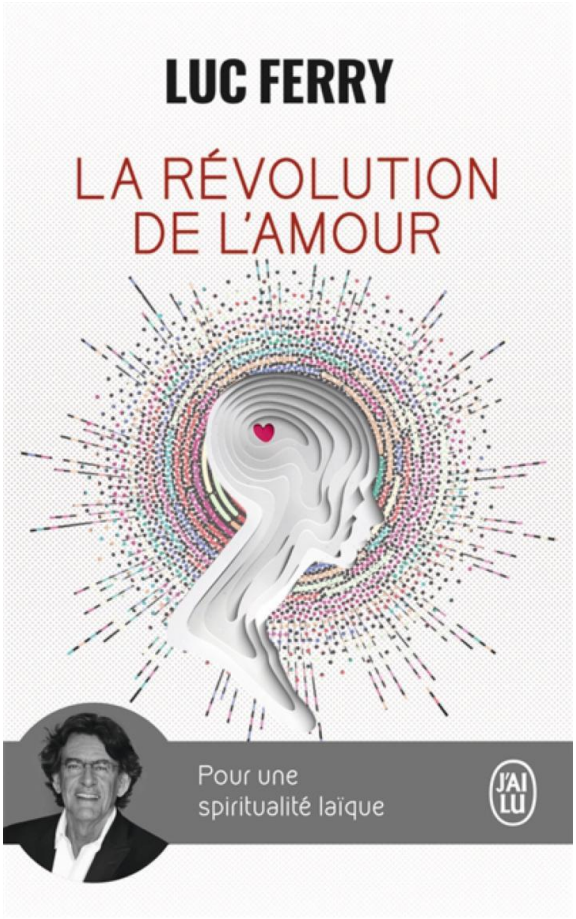

Introduction

La révolution de l'amour-passion et les métamorphoses de l'humanisme

(L'amour a toujours été pour moi la plus grande des affaires, ou plutot la seule) Stendhal

C'est une évidence qui crève les yeux, qui traverse et bouleverse en permanence nos vies privées. Pourtant, nous osons à peine l'avouer hors l'intimité la plus restreinte : c'est l'amour qui donne tout son sens à nos existences. C'est lui qui nous contraint, ne fût-ce que pour nos enfants, à ne pas céder au pessimisme, à nous intéresser malgré tout à l'avenir, à ne pas négliger tout à fait une vie politique que nous jugeons par ailleurs dérisoire. La plupart des anciens tabous ont aujourd'hui sauté. Nous n'hésitons plus à parler du sexe, de l'argent et même de la mort. Sous l'effet des sciences humaines et des philosophies du soupçon, du marxisme et de la psychanalyse, la transgression des interdits ne nous effraie plus guère, mais d'amour, curieusement, il nous est difficile de parler en raison. Il n'est qu'accessoirement objet de pensée conceptuelle. Pour l'essentiel, il reste le domaine réservé de la fiction, du cinéma ou de la chanson. Or, sous toutes ses formes, qu'on l'appelle sentiment, passion, tendresse, amitié ou fraternité, qu'il porte sur nos femmes ou nos maris, nos enfants ou nos parents, nos frères, nos sœurs ou nos amis, voire, comme dans la tradition philanthropique et caritative, sur l'humanité entière, c'est lui qui anime notre vie psychique, morale, spirituelle, culturelle et même, comme on verra dans ce qui suit, intellectuelle et politique. Sans lui, rien n'aurait de signification pour nous. Ce serait, pour le coup, le vrai désenchantement du monde. Quand il nous fuit, que pour une raison ou pour une autre, il vient à nous manquer – mort d'un être cher, séparation, rupture ou simple période de basses eaux amoureuses –, c'est l'univers entier qui devient terne et s'assombrit.

Ce que je dis là, tout le monde le sait, tout le monde le sent. C'est une banalité. Ce qui l'est moins, et qui fait tout l'objet de ce livre, c'est que l'amour n'est plus seulement cette expérience intime et bouleversante qu'il fut très certainement depuis l'aube des temps, mais pour la première fois peut-être dans l'histoire, il est devenu le principe fondateur d'une nouvelle

vision du monde, le véritable foyer qui redonne sens et réorganise aujourd'hui les valeurs qui ont nourri la civilisation européenne moderne. De tout autres principes ont, par le passé, commandé l'éthique de nos ancêtres : le *Cosmos* des Grecs, le Dieu des juifs et des chrétiens, la Raison et les droits de l'humanisme moderne et républicain, avec ses prolongements politiques, le patriotisme, le colonialisme ou l'idée révolutionnaire. Ils furent en leur temps des motifs de sacrifices collectifs autrement plus éminents et plus prégnants que ne l'étaient les exigences de la vie sentimentale. C'est seulement de manière tardive, dans l'Occident moderne, sous l'effet d'une histoire très singulière, celle de la famille moderne, de la naissance, puis de la généralisation du mariage librement choisi, que l'amour a remplacé peu à peu tous les autres principes pourvoyeurs de sens, toutes les autres sources de légitimation de nos idéaux les plus puissants.

C'est cette histoire que je voudrais ici raconter.

C'est d'elle, surtout, que je voudrais tenter de tirer les principales leçons sur le plan intellectuel, moral, politique et spirituel. L'entreprise ne va pas de soi. Ce qui la rend difficile tient à l'aveuglement où nous sommes toujours plongés des bouleversements qui changent notre rapport au monde et qui n'ont pas encore de nom. Comme le poisson dans son bocal, il nous est impossible de nous regarder de l'extérieur. C'est pourtant ce qu'il faudrait parvenir à faire si nous voulions saisir les évolutions les plus fondamentales, celles qui s'opèrent sous nos yeux sans que nous puissions les observer.

Comme la conscience malheureuse si bien décrite par Hegel[4], nous avons tendance à ne voir dans l'histoire que ce qui s'effondre et meurt, presque jamais ce qui surgit et prend vie. De là notre propension au pessimisme, propension d'autant plus forte qu'il donne des ailes à la pensée négative. À l'opposé de l'optimisme, toujours un peu niais, une vision crépusculaire du temps présent confère d'emblée à qui la professe une belle présomption de lucidité, pour ne pas dire d'intelligence. Par où le pessimisme devient la maladie du siècle. On ne compte plus aujourd'hui les essais qui annoncent la fin des grandes œuvres, dénoncent les illusions du sens, la crise des valeurs, du capitalisme, de l'écologie, la perte des repères dans les jeunes générations, le désenchantement du monde, l'ère du vide, le déclin de l'Europe, du civisme et de la morale publique, la défaite de la pensée, l'effondrement de l'humanité dans l'affairisme américanisé, la

Or, à l'orée de ce siècle, le constat, même s'il mérite encore d'être éclairé par la réflexion philosophique, est indéniable : les motifs traditionnels du sacrifice collectif ont été littéralement liquidés, du moins en Europe, presque liquéfiés par la grande déconstruction des valeurs et des autorités traditionnelles qui a tant marqué le XX[e] siècle jusqu'à Mai 68. Qui voudrait encore aujourd'hui, dans les jeunes générations, mourir pour Dieu, pour la patrie ou pour la révolution ? Personne ou presque. Il y a bien encore des fous de dieux, des nationalistes fanatiques et même quelques révolutionnaires, mais reconnaissons-le, ils viennent essentiellement de ces parties du monde qui, à la différence de nos vieilles démocraties, n'ont pas connu l'incroyable remise en cause des traditions, ce lent mais inéluctable processus de sécularisation des valeurs qui a caractérisé notre continent. Or, à l'encontre de la morosité ambiante, je prétends que cette éclipse des figures traditionnelles du sacré, malgré ses nombreux effets pervers en matière d'éducation et de civisme, est au total la meilleure nouvelle, pas même du siècle, mais peut-être bien du millénaire. Les guerres religieuses, nationalistes et révolutionnaires ne font plus recette chez nous ? Tant mieux. Franchement, je vois mal à quel titre nous devrions nous en plaindre.

D'autant qu'à l'encontre d'une autre idée reçue, cette liquidation des motifs traditionnels du sacrifice ne conduit ni au « désenchantement du monde », ni à la victoire sans partage de « l'ère du vide ». Il suffit de s'interroger en son for intérieur sur les raisons qui pourraient encore nous conduire à risquer notre vie, pour percevoir qu'elles n'ont point toutes disparu, que notre rapport au sacré, entendu comme un motif de sortie de soi, de suspension de l'égocentrisme individualiste, n'est nullement anéanti. Simplement, sous l'effet de l'histoire de la vie privée et de la montée en puissance des exigences de l'affectivité, ses objets ont changé. Il s'est incarné ailleurs, dans des personnes et non plus dans des abstractions, et c'est cela qu'il s'agit de comprendre, avant de porter quelque jugement que ce soit sur le temps présent.

Les seuls êtres pour lesquels nous serions prêts désormais, s'il le fallait absolument, à mettre en jeu notre existence sont d'abord et avant tout des humains, non plus des idéaux politiques ou religieux, mais des êtres de chair et de sang, à commencer bien sûr par ceux que nous aimons, par ceux qui sont pour ainsi dire transfigurés, puis « sacralisés » par l'amour. Nous vivons ainsi un moment de refondation à nul autre semblable, une de ces périodes rares et précieuses où il nous faut découvrir, voire inventer une nouvelle vision du monde touchant tous les domaines de l'existence humaine, depuis la connaissance théorique jusqu'à l'éthique, de la métaphysique à la politique en passant par la vie quotidienne. Une sorte de révolution copernicienne qui, à la place des principes fondateurs anciens – le *Cosmos* des Grecs, le Dieu des grandes religions, le *cogito,* la raison et les droits de l'humanisme républicain –, fait de l'amour, de l'amitié et de la fraternité le nouveau socle de nos valeurs et le place au cœur de nos préoccupations.

Cela ne signifie évidemment pas que l'égoïsme ait disparu, ni que le capitalisme moderne ne soit une société individualiste, de compétition acharnée, au sein de laquelle chacun s'efforce de survivre du mieux qu'il peut, sans toujours, c'est un euphémisme, se soucier de ses voisins. Il n'y a, dans le constat que je propose ici, nul irénisme, nul désir d'enjoliver la situation, seulement la conscience claire qu'en termes de sens, les principes anciens ne font plus recette alors que la logique de l'amour-passion, si problématique soit-elle, y compris et peut-être même surtout au sein du couple[2], envahit littéralement l'espace privé au point de déborder en permanence sur la sphère publique. Ce n'est nul hasard si nous exigeons désormais de la politique qu'elle serve d'abord et avant tout, non la gloire de la nation, encore moins celle de l'empire, mais l'épanouissement de nos existences personnelles et la préparation de celles de nos enfants, que nous savons indissolublement liées à celles des autres. Par rapport aux siècles passés, c'est bien le mot de révolution qui convient, un bouleversement qui touche tous les secteurs de la vie humaine, un changement de perspective dont les conséquences, y compris sur le plan collectif et politique, sont pratiquement infinies.

Comme je le montrerai plus loin, si la révolution en question est bien l'amorce d'un certain réenchantement du monde, encore faut-il préciser que ce dernier s'effectue non par un retour en arrière, sur une base divine et religieuse, mais dans une perspective nouvelle, humaine, laïque et pour tout dire, philosophique. Nous vivons, au sein de cette vieille Europe dont on prétend à tort qu'elle est moribonde alors qu'elle est seulement minoritaire, un de ces moments historiques privilégiés où un univers ancien bascule tandis qu'un nouveau prend son essor, et c'est cela, très exactement ce bouleversement historique considérable, que je voudrais tenter de décrire et d'interpréter ici. Car il est lié à l'apparition d'un visage encore inédit de

l'humanisme, à une nouvelle vision philosophique du monde qui change la donne sur le plan privé autant que collectif – ce que j'ai commencé à décrire voici déjà quelques années, comme un « humanisme de l'homme-dieu », un « humanisme postkantien et postnietzschéen » ou, si l'on veut, « postrépublicain et postmétaphysique ». De là l'intérêt sans cesse croissant pour ce que j'ai nommé, avec André Comte-Sponville, la *« sagesse des modernes »* ou la *« spiritualité laïque »*, c'est-à-dire une conception de la philosophie qui lui assigne essentiellement pour tâche de réfléchir à la question de la vie bonne sans passer par un dieu ni par la foi, mais avec les moyens du bord, ceux d'un être humain qui se sait mortel, livré à lui-même et aux seules exigences de sa lucidité.

Ce qui m'intéresse ici au premier chef, c'est donc de comprendre comment la question ultime de la philosophie, celle dont j'ai déjà montré ailleurs[1] comment elle résidait justement dans cette interrogation sur la vie bonne, qui est la sagesse même, se repose aujourd'hui. Je pense que le lecteur me comprendra d'emblée si je lui fais observer que c'est toujours par rapport au sacré que se décide le sens. Comme le dit joliment un antique proverbe arabe, un *« homme qui n'a pas rencontré dans sa vie un motif de la perdre est un pauvre homme, car cela signifie qu'il n'a pas trouvé le sens de son existence[1] »*. Pourquoi ? Parce que la possibilité du sacrifice est toujours l'indice de ce que nous tenons pour essentiel et qui, par là même, comme une boussole intérieure, fût-ce inconsciemment, donne du sens et de la valeur à ce que nous pensons, faisons, cherchons. L'histoire des figures du sacré est donc directement liée à celle du sens, et les interrogations philosophiques portant sur la vie bonne en sont inséparables. Si le sacré ne réside plus pour nous dans le cosmos ni dans le divin, pas davantage dans le patriotisme ni dans l'idée révolutionnaire, mais si, désormais, sous l'effet d'une histoire de l'amour liée aux évolutions du mariage et de la famille modernes, il tend à s'incarner dans l'humanité elle-même (ce qui donne naissance à un nouvel humanisme), alors, en effet, nos définitions de la vie bonne et de la sagesse s'en trouvent nécessairement affectées au plus profond – ce qui implique aussi une nouvelle approche philosophique, c'est-à-dire une nouvelle *« spiritualité laïque »*, formule dont je sais qu'elle paraît énigmatique, mais sur laquelle je m'expliquerai de manière parfaitement claire dans la troisième partie de ce livre.

De là la nécessité de commencer par présenter une vue d'ensemble des grandes évolutions spirituelles et morales qui ont marqué le XX^{e} siècle. Ce

montée en puissance du consumérisme festif et décérébré… On prophétise à longueur de pages, persillées de Schopenhauer, de l'apocalyptique Muray ou de l'inévitable Cioran, la fatale déréliction du vieux continent. Critique tous azimuts du « bougisme » et du remuement contemporains, du divertissement tragi-comique qui envahit la société moderne, éloge des retours en arrière, de la lenteur pour entrer en résistance contre le culte de la vitesse qui s'empare de l'homme pressé des temps modernes, idéalisation des modes de vie traditionnels, de la paysannerie, pour faire pièce aux méfaits de l'industrialisation à marche forcée par la mondialisation libérale, j'en passe et des meilleures. Pessimisme à tous les étages. À quoi j'opposerai volontiers le mot de Bernanos : si l'optimiste est un imbécile heureux, le pessimiste n'est trop souvent qu'un imbécile malheureux – observation plus fine qu'il y paraît, et qui peut servir utilement de contrepoint à l'air du temps, antimoderne et dépressif, pour nous inciter à rouvrir les fenêtres et tenter, non d'encenser ni de condamner a priori, mais tout simplement de comprendre l'époque où nous vivons.

Ma conviction est que notre vieille Europe, malgré tous ses défauts, n'est ni aussi plate ni aussi tragique qu'on feint de le croire pour mieux se complaire dans un discours critique, en apparence marginal et martyr, en vérité universel et dominant. Je pense même que nous vivons des temps plutôt exaltants, en tout cas puissamment créatifs, et ce pour une raison de fond dont l'analyse constitue le fil rouge de mon travail depuis une quinzaine d'années : sous l'effet de la montée en puissance de la logique du sentiment, de l'affectivité et de l'amour comme principe de sens, nous assistons à la naissance d'une nouvelle figure du sacré qui révolutionne lentement mais sûrement nos existences. Un nouveau visage de l'humanisme émerge, qui prolonge notre fameuse « idée républicaine », mais s'en sépare aussi sur bien des points et implique des liens inédits à l'espace public, collectif et politique.

Pas de malentendu : j'entends ici le terme « sacré », non au sens religieux, mais dans son acception étymologique et philosophique, non pas comme l'opposé du profane, mais plutôt comme « ce pourquoi on peut se sacrifier », risquer ou donner sa vie. C'est de ce point de vue, par exemple, qu'un agnostique ou un athée peuvent bien parler de « valeurs sacrées » pour signifier qu'à l'opposé d'un esprit munichois, ils pourraient, s'il le fallait, les défendre au péril de leur vie.

dernier aura été caractérisé, du moins en Europe, par trois grands traits dont l'analyse constitue le cœur de la première partie de cet ouvrage. Ils forment, si l'on adopte la distance qui convient, un tableau d'une impressionnante cohérence et ils nous conduisent de toute évidence à formuler en termes neufs l'antique question de la vie bonne.

Les trois traits caractéristiques du temps présent

*Le **premier trait*** réside sans nul doute, sur le plan moral, intellectuel, politique culturel et même spirituel, dans cette formidable *« déconstruction »* des valeurs traditionnelles, elle-même alimentée par une critique du passé comme on n'en avait sans doute jamais connu dans l'histoire de l'humanité. C'est elle, bien entendu, qui nourrit le plus sûrement le flot pessimiste que j'évoquais en commençant. Car, c'est vrai, notre univers contemporain, qu'il s'agisse de l'art, de la morale, de la condition des femmes, de ce que les historiens appellent « la fin des paysans », du patriotisme ou du respect des maîtres à l'école, a connu des métamorphoses d'une rapidité et d'une profondeur sans précédent. Comment ne pas en être affecté, quand bien même on considérerait certains des espaces d'émancipation ainsi libérés (notamment s'agissant des femmes) d'un œil positif ? En apparence, ces changements furent l'effet de contestations multiples, elles-mêmes héritières de l'idée révolutionnaire : c'est au nom de la « vie de bohème », comme dans la chanson d'Aznavour, qu'on a voulu faire table rase du passé et des traditions pour inventer un monde neuf, des utopies où il ferait enfin bon vivre. Aventure parfois funeste, sans doute, mais surtout passionnante et séduisante dont je retrace ici – et j'espère que mon lecteur partagera mon enthousiasme – quelques moments particulièrement forts depuis les années l830.

À première vue, donc, la déconstruction aura été l'œuvre de l'avant-garde, le fait de jeunes « contestataires », bohèmes, soixante-huitards avant la lettre si l'on veut, plutôt « de gauche », en tout cas révolutionnaires, animés par la conviction proprement idéaliste que *« la vraie vie est ailleurs… »*. La réalité, comme on verra de manière argumentée, est assez différente. Si l'on ne s'en tient pas aux seules apparences, il faut bien admettre que le véritable moteur de l'histoire récente ne fut pas la contestation bohème, mais le capitalisme, dont le visage moderne a pris un nouveau nom, celui de « mondialisation », qui ne doit pas nous égarer : c'est bien toujours du « Grand Capital » et de ses avatars qu'il s'agit. On ne comprend rien au XX^{e} siècle si l'on ne perçoit pas que sous les pavés, il n'y avait nullement la plage (ça se saurait !), mais bel et bien la « globalisation » libérale, et ce pour une raison évidente, qu'il est impossible de négliger plus longtemps dans l'analyse du temps présent : il fallait, tout simplement, que les valeurs traditionnelles fussent déconstruites par des bohèmes pour que nous puissions entrer dans l'ère de la consommation de masse sans laquelle l'économie mondiale ne pourrait pas « tourner ». Le raisonnement qui sous-tend cette assertion pourrait se formuler de la façon suivante : plus on possède des valeurs culturelles, morales et spirituelles fortes et stables – ce que les psychanalystes désignent depuis Freud sous le nom de « sublimation » –, plus on a une « vie intérieure riche », moins on est soumis à la logique addictive du manque qui pousse toujours irrésistiblement à une consommation débridée. La désublimation liée à la montée en puissance de la société individualiste, hédoniste et ludique que favorise nécessairement l'économie capitaliste engendre ainsi des attitudes consuméristes qui tournent parfois, à l'approche des fêtes notamment, à la pure et simple frénésie. Comme les enfants qui jettent leurs jouets trois jours après Noël, nous éprouvons le besoin irrépressible de changer de vêtements, de portable ou de voiture dès que la lassitude nous prend. On dévore alors magazines et revues qui nous présentent les différentes nouveautés sous les dehors les plus attrayants et nous adorons rêver nos achats avant de les réaliser – la réalisation étant presque inévitablement suivie, sinon de la déception, du moins d'une nouvelle lassitude dont la vitesse de reproduction est sans doute variable, mais dont le terme n'est pas moins certain. Seules des valeurs fortes et des idéaux à long terme pouvaient freiner cette logique aussi divertissante que destructrice : il fallait qu'ils fussent, au sens propre, liquidés, liquéfiés, pour que la consommation se fluidifie elle aussi d'un même mouvement.

La mondialisation libérale fut donc le vrai moteur d'une histoire de la déconstruction des traditions qu'à droite comme à gauche des hommes ont écrite sans savoir l'histoire qu'ils écrivaient. Les bohèmes croyaient détruire la société de consommation qu'ils jugeaient vulgaire et aliénante, les bourgeois les détestaient pour la peur qu'ils leur inspiraient, jusqu'à ce que les deux comprennent enfin qu'ils travaillaient en vérité dans le même sens, celui de la mobilité à tout prix, du changement permanent, de l'innovation pour l'innovation sans laquelle une économie plongée dans la

compétition mondiale ne peut tout simplement pas s'épanouir. Réconciliation imparable, *in fine*, du bourgeois et du bohème dans la figure du « bobo » qui pense, si l'on en croit la chanson, « comme un anarchiste et vit comme un millionnaire ».

Or cette mondialisation devait, au passage, priver les politiques nationales d'à peu près tous les leviers d'action qui les rendaient crédibles encore du temps du général de Gaulle et de l'Europe des nations. Dépossession démocratique et impuissance publique croissante face à des processus mondialisés qui supposeraient, pour être maîtrisés et canalisés, l'émergence d'une introuvable « gouvernance mondiale », celle-là même dont rêvent aujourd'hui les artisans du G 20 sans parvenir à lui donner corps autrement que de manière fugitive et embryonnaire : tel est sans nul doute le ***deuxième trait*** le plus marquant de la fin du XX^{e} siècle, phénomène d'impuissance publique lié au fait que les leviers de la politique nationale ne lèvent plus grand-chose dans le nouveau cadre global que je tente d'analyser ici jusqu'en ses racines philosophiques les plus profondes.

*Le **troisième trait*** reste encore à penser, car la mondialisation aura eu, sur le plan intellectuel et moral, deux effets paradoxaux. Le premier, je viens de l'évoquer, c'est la déconstruction des valeurs et des autorités traditionnelles. Mais le second va presque à l'inverse, je veux dire qu'il pousse à la « reconstruction », voire au réenchantement du monde. Sous l'effet de l'histoire du salariat qui impliquait, on verra plus loin comment, une émancipation des individus par rapport aux structures communautaristes traditionnelles des villages du Moyen Âge, une nouvelle forme de vie amoureuse et familiale est née, fondée non plus sur le mariage de raison, mais sur l'invention du mariage d'amour et de l'union librement choisie. Histoire passionnante, elle aussi, sur laquelle nous allons revenir dans quelques instants. De là le titre, étrange à première vue, que j'ai donné à ce livre. Car c'est bien cette forme nouvelle conférée à la passion la plus ancienne de l'humanité qui fait à mes yeux la tonalité essentielle de l'époque. L'amour, je dirais même « l'amour de l'amour », est la chose du monde la mieux partagée aujourd'hui, ce que chacun recherche plus que tout, de la standardiste au chef d'entreprise, de la starlette à l'intellectuel, de la droite à la gauche. C'est lui encore, pour des raisons de fond que nous tenterons ici de démêler, qui, donnant du sens dans nos vies, appelle comme en contrepoint de nouvelles formes de sagesse et de spiritualité.

Histoire de la bohème, histoire du mariage d'amour : tels sont donc, sur le plan « sociétal », les deux effets paradoxaux d'une mondialisation libérale dont il s'agit enfin de saisir en profondeur la cohérence et les ressorts essentiels. Car c'est elle qui, d'évidence, est au cœur de l'histoire que nous vivons aujourd'hui, elle qui en constitue tout à la fois le moteur et le carburant.

Raison et sentiments : la naissance d'un nouvel humanisme, postkantien et postnietzschéen

La conviction qui anime ce livre et en fournit le fil conducteur est la suivante : sous l'effet de la déconstruction que je viens d'évoquer, les principes fondateurs des visions anciennes du monde se sont estompés – du moins, la précision s'impose, en Europe et dans ses satellites culturellement occidentaux. Les cosmologies anciennes et les religions dogmatiques ne font plus recette au point qu'on a pu parler, en l'occurrence à juste titre, de « désenchantement du monde ». Mais ce serait une grave erreur de s'imaginer que les premiers principes fondateurs de l'humanisme républicain, pour être laïcs, n'en sont pas eux aussi affectés. L'idée cartésienne d'un sujet libre et transparent à lui-même, d'un citoyen fait de raison et de volonté, qui allait pouvoir conquérir le reste du monde et étendre, par la colonisation, les bienfaits de la civilisation occidentale jusqu'aux peuples les plus « arriérés » et les plus « barbares » a fait long feu. Le fameux *cogito*, ce sujet métaphysique, a été lui aussi critiqué, déconstruit par la philosophie contemporaine autant que par la biologie et les sciences humaines qui ont dénoncé les « illusions de la conscience » et dévoilé la part d'inconscient, voire d'irrationalité, qui rendait largement naïf et même caduc le projet des Lumières.

L'impérialisme colonial n'a pas davantage survécu à la formidable vague déconstructrice, de sorte que de cet humanisme des Lumières, si attachant soit-il par ailleurs, il ne reste plus guère qu'un idéal égalitariste et rationaliste, au final assez abstrait. En d'autres termes, il faut bien reconnaître que les grands principes fondateurs sur le plan éthique, politique et métaphysique que furent dans l'histoire de l'Occident le *Cosmos* des Grecs, le Dieu des juifs et des chrétiens, mais tout autant le sujet

métaphysique du premier humanisme ont été passés à la moulinette de la déconstruction. Bien que les sagesses grecques nous parlent encore et que, malgré la déchristianisation qui a marqué si profondément les cinquante dernières années, il subsiste en Occident de très nombreux croyants, cosmologies anciennes et religion sont en difficulté dans l'esprit d'une majorité de nos concitoyens. Quant à l'humanisme républicain, chacun, à droite comme à gauche, s'en réclame aujourd'hui avec une telle force qu'il doit bien avoir, lui aussi, quelques motifs d'inquiétude à se faire, un consensus aussi mécanique et général possédant toujours quelque chose de suspect à force de ressembler à celui qui entoure les morts dont, comme on sait, on ne doit dire que du bien – *de mortis, nihil nisi bene*…

Pour autant, je repose la question : vivons-nous vraiment, comme l'ont cru certains, le désenchantement du monde et l'ère du vide, la fin de tous les principes de sens, de toutes les figures du sacré, de tous les attachements éthiques forts ? Je n'en crois rien et, à bien y réfléchir, tout, dans l'époque, montre le contraire. Non pas la fin du sacré, mais la sacralisation d'autrui, non pas la disparition de toute spiritualité, mais, comme on dit dans l'histoire des sciences, un changement radical de paradigme, qui fait émerger de nouvelles aspirations à une sagesse de l'amour sans laquelle il n'est pas de vie bonne. Comme au temps de Descartes et de son doute radical, qui traduisait le fait que les principes anciens prenaient eau de toute part, que les cosmologies antiques s'effondraient littéralement tandis que la religion faisait enfin l'objet de remises en question, nous traversons une période de doute et d'interrogations intenses, une époque de soupçon et de critiques qui portent, déconstruction oblige, sur toutes les valeurs et toutes les visions du monde anciennes. Comme Descartes, nous cherchons un nouveau principe fondateur, un principe susceptible d'ouvrir de nouveaux horizons, de fonder des valeurs au sein d'une époque où le cynisme et l'apologie philosophique du non-sens ne font qu'accompagner la logique la plus puissante de la mondialisation libérale.

Or de toute évidence, le principe qui vient remplacer le *Cosmos* des Anciens, le Dieu judéo-chrétien tout autant que le *cogito* rationaliste de Descartes et des Lumières, c'est l'amour interhumain, avec ses diverses déclinaisons en termes d'amitié et de fraternité. Comme je l'ai suggéré déjà, c'est lui qui donne du sens, non seulement à nos vies, mais à tous nos engagements. Ce n'est plus par patriotisme, par devoir ni par civisme que l'on s'engage en politique, dans une association ou dans une vocation, fût-

elle seulement réservée, comme celle d'un père ou d'une mère de famille, à la seule sphère privée, mais parce qu'on aime la justice, la fraternité, la nature, la vérité, ou même, plus simplement encore, ses enfants, ses proches, ses amis, bref, parce qu'on aime la relation aux autres quand elle s'inscrit dans un horizon de sens. De là notre rupture tangible avec l'humanisme des Lumières. Si nous tenons tant, aujourd'hui, à nos fameux droits de l'homme, si la conviction s'impose à nous, quels que soient nos choix politiques, qu'ils ne sont pas négociables, si nous nous mobilisons lorsqu'un séisme ou une guerre ravagent la vie de pauvres gens en Thaïlande ou en Haïti, ce n'est plus « par devoir », comme on pouvait encore le dire et sans doute le croire du temps de Kant ou de Voltaire, pas non plus parce que les hommes sont des sujets libres et rationnels, mais tout simplement parce que, aimant plus que tout certains d'entre eux, nos enfants et nos proches, nous nous sentons en relation, voire en sympathie avec les autres. L'indifférence nous paraît de moins en moins défendable.

Voilà aussi pourquoi nous assistons à la naissance d'un *deuxième humanisme*, d'un humanisme qui s'écarte chaque jour davantage de celui des Lumières. Il est déjà largement à l'œuvre, et bien qu'il prenne son envol sur notre vieux continent, il est fort possible qu'il parvienne à éclairer le reste d'un univers mondialisé qui en a tant besoin. Cet humanisme, je ne le dis pas « nouveau » pour céder au travers, du reste déjà fané, qui consiste à baptiser de la sorte le moindre mouvement de mode dans l'humeur parisienne. Simplement, c'est un fait dont on verra comment on peut l'argumenter solidement : cet humanisme n'est plus celui de Voltaire ou de Kant, des droits de l'homme et de la raison. Ce n'est plus l'humanisme du XVIII^{e} siècle, qui fut certes porteur d'un vaste projet d'émancipation mais qui conduisit aussi à l'impérialisme et à la colonisation. C'est au contraire un humanisme postcolonial et postmétaphysique, un humanisme de la transcendance de l'autre et de l'amour, et il faut de nouvelles catégories philosophiques pour le penser, des catégories qui n'appartiennent plus à la métaphysique classique, des catégories qui supposent justement que l'on pense *après* ce que Nietzsche appelait le « crépuscule des idoles », hors de toute idée de retour vers les visions anciennes du monde. De même qu'il n'est pas possible de peindre ou de composer aujourd'hui comme si Picasso et Schönberg n'avaient pas existé, il est impossible de penser après Nietzsche, Freud et Heidegger comme avant. La critique de la métaphysique a eu lieu, comme a eu lieu celle de l'impérialisme et du

colonialisme, et il nous faut en tirer les conséquences pour penser l'époque qui, définitivement, n'est plus celle des Lumières.

*

C'est donc aussi l'occasion pour moi de faire ce que je n'ai fait que très rarement et jamais de façon exhaustive, à savoir exposer de manière enfin explicite le lieu philosophique d'où je parle. Mes lecteurs fidèles retrouveront dans ce qui suit des éléments déjà présents dans d'autres livres, mais jamais articulés entre eux de manière systématique comme ils le sont ici. J'ai beaucoup écrit sur les autres, sur les « grands auteurs », notamment ceux que j'ai traduits de l'allemand en français. J'ai toujours dit qu'avant de penser par soi-même, avant de prétendre « créer », inventer une « nouvelle philosophie », il fallait avoir l'humilité de penser par et avec les autres, suivant en cela l'adage emprunté par Hegel à Bernard de Chartres : nous sommes, en effet, c'est une des grâces de l'histoire, des nains juchés sur le dos de géants. Voilà pourquoi je me suis intéressé passionnément, depuis près de quarante ans, à l'histoire des cultures et des idées. Il est pour moi temps de dire, sans arrogance ni fausse modestie, quel est mon propre point de vue, d'indiquer comment j'envisage, non plus le passé de la philosophie, mais son présent, la philosophie vivante telle qu'elle peut aujourd'hui nous aider à penser et à vivre.

J'ai commencé à le faire dans mon *Apprendre à vivre*, dont les lecteurs attentifs ont compris qu'il n'était qu'en apparence un livre de vulgarisation destiné aux enfants. En vérité, c'était avant tout une profession de foi philosophique reposant sur un artifice littéraire qui me permettait de tirer au clair les concepts fondamentaux de la philosophie. L'époque de la mondialisation sur laquelle il s'achevait est si brutale, si violente, qu'elle m'incitait à aller plus loin. Elle requiert une autre pensée, non plus historique mais clairement actuelle, une réponse et une vision qui soient au niveau de la réalité présente d'un univers capitaliste et technicien qui offre à tour de rôle à peu près tous les visages, du charme à la vulgarité en passant par la rapacité ou la générosité les plus grandes. Notre monde, en effet, est plein de contradictions. Il est traversé, certes, par l'avidité, la lutte pour la survie, la passion de la réussite sociale et de l'argent, mais tout autant marqué par les exigences morales les plus hautes qu'aient jamais portées les peuples. Il est globalement dénué de sens, à la foi imprévisible et désenchanté, mais comme jamais aussi, il aspire à une spiritualité nouvelle.

J'ai choisi, pour exposer cette philosophie du temps présent, un genre littéraire proche de celui que j'avais adopté dans *Apprendre à vivre* : celui de la « *lecture* » qui me permet de m'adresser à mon lecteur sans vain détour, de manière plus directe que ne l'autorise l'essai traditionnel dont les prudences ou les longueurs parfois découragent. J'ai également choisi, dans la présentation de ma propre philosophie, d'appliquer la tripartition que j'ai adoptée dans *Apprendre à vivre* pour les visions du monde héritées du passé.

C'est ainsi que le présent ouvrage se divise en trois chapitres principaux : I. Théoria ou l'analyse du monde contemporain au sein duquel nos existences prennent sens. II. Éthique ou doctrine du bien et du mal, du juste et de l'injuste. III. Sotériologie ou doctrine du salut, de la sagesse et de la spiritualité laïque.

De manière plus précise, cette tripartition se décline de la façon suivante :

I Théoria. Philosophie de la mondialisation. Les traits caractéristiques du temps présent : déconstruction des traditions au nom de la bohème, mondialisation libérale et dépossession démocratique, sacralisation de l'humain à travers l'histoire de la naissance du mariage d'amour en Europe.

II Éthique. Une brève histoire de l'éthique, des cinq grandes visions morales du monde qui ont dominé la pensée et la vie occidentales, ou comment le principe de l'amour nous amène à reposer en termes neufs, au sein d'un nouvel humanisme, la question des valeurs du XXI^{e} siècle.

III Sagesse des Modernes et spiritualité laïque. Les prolongements spirituels du deuxième humanisme, l'avènement du sacré à visage humain et ses conséquences sur la vie de l'esprit : politique, art et philosophie.

1- Dans l'introduction de la *Phénoménologie*, lorsqu'il la décrit à travers un jeu de mots intraduisible comme celle qui, à force de voir ses valeurs s'effondrer, finit par douter (*Zweifeln*) et désespérer (*Verzweiflung*) de tout… C'est là sans doute la première apparition dans la philosophie d'une figure appelée à un avenir florissant, celle, aujourd'hui incontournable, du « tout fout le camp »…

2- Comme y insiste toute une littérature depuis Montaigne, l'amour, quand il prend la forme de la passion, pose plus de problèmes dans un couple qu'il n'en résout. Il est notamment à l'origine du divorce dont la légalisation à la fin du XIX^{e} siècle est liée à la montée en puissance du mariage fondé sur l'amour, donc sur un lien essentiellement fragile et variable. Nous n'en sommes pas moins attachés à la passion. À preuve le fait qu'après un échec amoureux, nous nous empressons aussitôt de recommencer, dès que l'occasion se présente, une « autre histoire ». Voir encore sur ce point le beau livre de Pascal Bruckner, *Le Paradoxe amoureux*, Grasset, 2009.

3- Dans les deux premiers volumes d'*Apprendre à vivre*.

4- Bien des philosophies contemporains contestent, notamment depuis schopenhauer, l'idée d'un "sens de l'existence".Elle semble en effet a premiere vue absurde puiqu'elle supposerait qu'en se situe pour ainsi dire hors de l'exitence tout entiere pour lui conférer, comme de l'exterieure, une signification d'ensemble.ce que seule la religion permet, mais point la philosophie laique.l'essentiel de la derniere partie de ce livre consacrée a la spiritualité laique, sera consacre a l'etude de cette objection.

قائمة المراجع:

wikipedia.org: https://fr.wikipedia.org/wiki/De_mortuis_nihil_nisi_bonum. (بلا تاريخ). تاريخ الاسترداد 20 07, 2022، من *wikipedia.org*.

ferry, l. (2010). *la revolution de l'amour, pour une speretualite laique.* France: ED plon.

Ferry, L. (2010). *La revolution de l'amour, pour une speretualites laique.* france, France: PLON.

kolalkotob.com/author562.html: https//kolalkotob.com/aithor562.html. (بلا تاريخ). تاريخ الاسترداد 4 07, 2022، من *kolalkotob.com/author562.html*.

إبراهيم عبد الله الرمّاح. (1439). *الانسانوية المستحيلة اشكالات تأليه الانسان و تفنيدها في الفكر المعاصر* (الإصدار 2). الرياض، المملكة العربية العودية: مركز دلائل.

الاليسكو. (2015). *المعجم الموحد لمصطلحات الاداب المعاصرة انجليزي-فرنسي-عربي (المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم)*. الرباط: مطبعة الأمنية.

ب.بالم كريستوفر. (2014). *دراسات كمبريدج في المسرح* (الإصدار دط). (محمد حسن صفوت، المترجمون) القاهرة، مصر: دار الفجر للنشر و الترزيع.

حسن الحريري. (21 مايو, 2015). *ملاحق ثقافة*. تاريخ الاسترداد 20 07, 2022، من صحيفة الشرق الأوط: https://aawsat.com/home/article/365181

فريدريك نيتش. (1996). *أفول الأصنام le crepuscule des idoles* (الإصدار 1). (بورقية حسان، و الناجي محمد، المترجمون) الدار البيضاء، المملكة المغربية: إفريقيا الشرق.

فريدريك نيتش. (1996). *أفول الأصنام le crépuscule des idoles* (الإصدار 1). (بورقية حسان، و الناجي محمد، المترجمون) الدار البيضاء، المملكة المغربية: إفريقيا الشرق.

قاسم جميل. (ربيع, 2016). الانسان الله، للفيلسوف لوك فيري، نقد حداثة بلا روح. *الاستغراب*، صفحة 296.

لو ستيفين. (2017). *الانسانوية مقدمة قصيرة جدا*. (ورآد ضياء، المترجمون) القاهرة: مؤسسة هنداوي.

لوك فيري. (2002). *الانسان المؤله أو معنى الحياة*. (هشام محمد، المترجمون) الدار البيضاء، المملكة المغربية: إفريقيا الشرق.

لوك فيري. (2002). *الانسان المؤله أو معنى الحياة (l'omme-dieu ou le sens de la vie)*. الدار البيضاء، المملكة المغربية: إفريقيا الشرق.

لوك فيري. (2018). *مفارقات السعادة، سبع طرائق تجعلك سعيدا* (الإصدار ط1). (أيمن عبد الهادي، المترجمون) القاهرة: دار التنوير.

لوك فيري. (2018). *مفارقات السعادة-سبع طرائق تجعلك سعيدا-* (الإصدار 1). (أيمن عبد الهادي، المترجمون) القاهرة، مصر: دار التنوير.

لوك فيري. (دت). *تعلم الحياة مبحث في الفلسفة بتصرف الأجيال الشابة*. (الوالي سعيد، المترجمون) أبو ضبي: دار كلمة للثقافة و التراث.

لوك فيري. (دت). *تعلم الحياة، مبحث في الفلسفة بتصرف الأجيال الشابة (apprendre a vivre traite de philosophie a l'usage des jeunes generation)*. (الولي سعيد، المترجمون) أو ضبي: دار كلمة للثقافة و التراث.

لوك فيري، و كلود كبلياي. (2015). *أجمل قصة في تاريخ الفلسفة* (الإصدار 1). (بن جماعة، و محمود، المترجمون) القاهرة، مصر: دار التنوير.